الأسلوبية والشعرية وجذورهما في فكر عبد القاهر الجرجاني

المدرس الدكتور آمنة احمد عباس

قسم اللغة العربية/كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة البصرة

الملخص:-

إن مصطلحي الأسلوبية والشعرية مصطلحان غربيان في التسمية إلا إن لهما جذوراً في الفكر العربي ولكن بمسميات أخرى، فنجدها في تركيب الكلام (التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، الخ)، وفي ألوان البيان (المجاز (المرسل، والعقلي)، والاستعارة والتشبيه)، وفي ألوان البديع (الجناس والطباق، والمقابلة، الخ من المحسنات اللفظية والمعنوية) التي تعكس الجانب الصوتي في النص. وهذا يعني ان هذين المصطلحين يعدّان امتداداً للفكر العربي بمسميات حديثة. فضمن حركة المصطلح وطبيعة الدورة المفهومية يمكن تبسيط الطريق الذي تقطعه اللغة وصولاً الى المصطلح بوصفه وثبة من العام الى الخاص، فحين تغادر اللغة دلالتها العامة، وتدخل في مفهوم خاص انسيابي، تتولد الفاعلية الاصطلاحية من دون ان تنقطع علاقتها تماماً بذلك التراث العام. وقد اعتمد البحث على دراسة الأسلوبية والشعرية وفق نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم في كتابيه (دلائل الاعجاز واسرار البلاغة).

كلمات مفتاحية: الاسلوبية، الشعرية، الاسلوبية وفق نظرية النظم، الأسلوب والنظم، الشعرية والنظم.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٢/٠١/٣١ **تاريخ القبول: ٢٠٢٢/٠٣/١٠**

Stylistics and Poetics and their Roots in Abd al-Qaher al-Jurjani's Thought

Lec. Dr. Amna Ahmed Abbas
Department of Arabic , College of Education for Human Sciences , University of Basrah

Abstract:

The terms stylistics and poetics are Western terms, but they have roots in the Arab thought, so they can be found in the structure of speech (advancing and delay, omission and reference, definiteness and indefiniteness, etc.), figurative language (metaphor (real and conceptual) and simile), and in Budaiya types (anagrams and counterpoints, and the equivalence, and other devices of are verbal and semantic enhancers) that reflect the phonetic aspect of the text. This means that these two terms are extended from Arab thought but with modern terminology. Within the movement of the term and the nature of the conceptual cycle, the path that the language takes to reach the term can be simplified as a leap from the general to the specific.The research here is based on the study of stylistics and poetics according to the theory of Abdul Qaher Al-Jurjani in the systems in his two books (Dalailat the Miracles and Secrets of Rhetoric).

Keywords: Stylistics, poetics, stylistics according to systems theory, style and systems, poetics and systems.

Received:31/01/2022 **Accepted: 10/03/2022**

المقدمة:-

الأسلوبية من حداثيات هذا العصر إلا أنّ جذورها نابعة من تراثنا العربي وبالذات عند شيخ البلاغة والنقد عبد القاهر الجرجاني في نظريته (النَّظم) فقد أشار إليها بشكل صريح ووضح أهميتها وأشار إلى علاقتها بالنحو ومعانيه، مع الإشارة إليها من خلال علاقة الألفاظ مع بعضها وجعل بعضها بسبب من بعض وهذا يعطي النص أسلوبية مميزة بالاعتماد في الكلام المنظوم على معاني النحو بالدرجة الأولى.

الأسلوب:-

الأسلوب في المعاجم يعرفه العرب على أنّه ((من سطر النخيل، لأن كلّ طريق ممتد أسلوب، وقالوا: أن الأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب، والجمع أساليب وهو الفن، ويقال أخذ فلان في أساليب من القول أي: أفانين منه))[١].

وهو عند ابن قتيبة طريقة العرب في النظم. واللاحقون له حملوا هذا المعنى للأسلوب وعرفوا أنّ الأساليب مختلفة باختلاف الأغراض والمذاهب، فقال عبد القاهر الجرجاني ((إن كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ... وإنما ذلك بسبب اختلاف الطبائع وتراكيب الخلق. فإنّ سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع' ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلق))[٢] وأوصى الجرجاني بتعدد الأساليب بأن ((... تقسم الألفاظ على رُتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك ... فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، ... فلكل واحد من الامرين نهج هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه))[٣]، وذهب الخطابي إلى هذا المعنى بأن الأسلوب هو الطرق والمذاهب فهو قد ربط بينه وبين الموضوع، وانتفع الزمخشري من نظرية النَّظم في تفسيره للكشاف عند تعرضه لأساليب القرآن الكريم المختلفة وربط بينها وبين الموقف، ولعل نظرته إلى الالتفات تفصح عن ادراكه لأهمية الأسلوب وصلته بالمعنى.

الأسلوب عند المعاصرين والغربيين:-

عرفه المعاصرون تعريفات كُثر منها ((إنّه طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام))[٤] ، أو هو ((طريقة التفكير والتصوير والتعبير))[٥]، أو هو ((الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره ويبين بها عمّا يجول في نفسه من العواطف والانفعالات))[٦]، وهو ((اختيار الألفاظ وترتيبها في شكل له أثره وطابعه في اللفظة المستعملة))[٧]، وهو ((طريقة التعبير عن التفكير باختيار الألفاظ ووضعها في عبارات جميلة))[٨].

وهذه التعريفات للأسلوب لم ترق للبعض فمضى البعض منهم يلتمس تعريفاته مما شاع في الغرب، وقالوا إنّ الأسلوب ((هيئة النص تحصل من اختيار الوسائل التعبيرية التي تحددها طبيعة الكاتب وميوله))[٩]، أو هو ((قوام الكشف لنمط التفكير عند صاحبه))[١٠]، وقال فيه بوفون أنّ ((الأسلوب من الرجل نفسه))[١١].

فقد تعددت حدود الأسلوب وأخذت مسارات لا تلتقي في كثير من الأحيان وإن كانت في الأصل ترجع إلى ((طريقة الانسان في التعبير عن نفسه))[١٢].

الأسلوب والأسلوبية:-

إنّ دراسة الأسلوب قديمة وقد ارتبطت بالبلاغة وقواعدها المعيارية وكان هذا سبباً لتجاوزها في العصر الحديث وإهمالها والأخذ بالأسلوبية التي ظهر مصطلحها في بداية القرن العشرين وترتكز على ((ثنائية تكاملية هي من مواصفات التفكير اللساني، وقد أحكم استقلالها علمياً سوسير وتتمثل في تفكيك الظاهرة اللسانية إلى واقعين: ظاهرة اللغة وظاهرة العبارة، واعتمد اللسانيون بعد سوسير هذه الثنائية فحولوا تركيزه في التحليل وتدقيقه بمصطلحات تتلون بسمات اتجاهاتهم اللسانية))[١٣]، وهو ما اهتم به الجرجاني حينما فرق بين اللغة والكلام وقرر أنّ اللغة تختص بالكلمات المفردة ومعانيها والعلم بها ((لا يعدو أنّ يكون علماً باللغة وبأنفس الكلم المفردة وبما طريقة الحفظ دون ما يستعان عليه بالنظر ويوصل إليه بإعمال الفكر))[١٤].

وبدأت معالم الأسلوبية تتحدد على يد (شارل بالي) وإن لم يقصد بعلم الأسوب ((دراسة الأسوب الأدبي)) لأن اهتمامه انصب على اللغة نفسها. وأخذت الأسلوبية طريقها إلى النقد الأدبي وأصبحت معلماً من معالم درس الحديث وتعصب لها قوم وانكرها قوم آخرون، فقالوا في الأسلوبية ((هي البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب))[١٥]، وإنّها ((منهج لساني تقوم على البحث فيما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً))[١٦] واختلفوا في، تعريفات الاسلوبية وعلاقتها بالأسلوب، فالأسلوبية رسالة لغوية تحاول تفحص النسيج اللغوي الظاهري اللساني، أما الأسلوب فيركز على البنية الداخلية للنص، أي الكشف عن العلاقات التي يعقدها النص داخل بنيته من أجل الوقوف على ما هو جمالي وفني.

والأسلوبية ((تدرس في النص اللغوي العناصر التي يستعملها الكاتب ليفرض على القارئ طريقة تفكيره))[١٧] فهي ((تدرس خصائص الإبلاغ . لا ككلام عادي . وإنما على أساس تبرز شخصية الكاتب وتجلب انتباه القارئ))[١٨].

البلاغة والأسلوبية:-

الأسلوبية تعني الخصائص اللغوية وهي وريثة البلاغة فبالرغم من التداخل بين المصطلحين في المفهوم إلا أنهما يفترقان في بعض الأحيان لكون البلاغة تتعامل مع الصورة على وفق قواعدها المعيارية وتُترك جامدة في موضوعها من دون الخروج من هذا الجمود إلى الطبيعة العلائقية التي تعالق في ظلها الصور فيما بينها، على العكس من الأسلوبية التي تتعالق مع تلك الصور فتؤدي إلى التأثير الفني.

والفرق بين البلاغة والأسلوبية واضح[١٩] لكون البلاغة علم لساني قديم، والأسلوبية علم لساني حديث، واللغة في البلاغة تنطوي على ثبات، أما في الأسلوبية فهي متطورة ومتغيرة تتميز بالحركة في الرصد والتحليل، وقد شاع في البلاغة مقتضى الحال، أما في الأسلوبية شاع أنّ نمط الكلام يتأثر بالموقف، والبلاغة تهتم بفصاحة المفردة والجملة وخصائص جمالها وبالصورة، أما الأسلوبية فتهتم بالمستوى الصوتي والتركيبي والدلالي.

الأسلوبية وفق نظرية النّظم:-

لقد فرق عبد القاهر الجرجاني بين اللغة والكلام بأن اللغة تختص بالكلمات المفردة ومعانيها والعلم بها ((لا يعدو أن يكون علماً باللغة وبانفس الكلم المفردة وبما طريقة الحفظ من دون ما يستعان عليه بالنظر ويوصل إليه بأعمال الفكر))[٢٠]، وإنّ ((الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في انفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض))[٢١] والناس لا تتفاضل بالألفاظ وإنما تتفاضل فيما بينها بما تقوله بالكلام ونظمه أي الأسلوب.

ويطابق عبد القاهر الجرجاني بين النظم وعلم النحو إذ يقول ((ألا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا ترفع عنها أو تحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل منها بشيء))[٢٢] والتماثل بين علم النحو والنّظم في فكر عبد القاهر الجرجاني يسمح أن نقول أن مفهوم النّظم عنده يقترب إلى حد كبير من مفهوم الأسلوب ويصبح النظم الذي يصنع علم النحو قواعده هو علم دراسة الأدب أو علم الشعر ويمكن أن نقول إن علم الشعر عنده يقوم على أساس لغوي.

الأسلوب والنظم:-

حين يوحد عبد القاهر الجرجاني بين نظرية النظم وعلم النحو فان ما يقصده بعلم النحو ليس القوانين النحوية المعيارية التي تحدد حدود الصواب وحدود الخطأ في الكلام. فعلم النحو يتحدث على أساس أنه الفروق بين أساليب مختلفة في الكلام تبدو في منظور النحو المعياري أساليب متساوية، ولكن الفروق بين التقديم والتأخير وبين الإخبار بالوصف والإخبار بالفعل وغيرها من الفروق التي حددها عبد القاهر هي فروق في الدلالة تحول الكلام من مستوى إلى مستوى آخر وهذه الفروق هي مدار المعنى والدلالة وهي فروق شخصية إذا صح لنا أن نقول ذلك وهي خصائص فردية تحدد مستويات الكلام الأدبي وتفرق بين كلام وكلام.

وعبد القاهر يستخدم كلمة الأسلوب للدلالة على هذه التفرقة بين نظم ونظم آخر يقول ((واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره ...))[٢٣].

علاقة الأسلوب بالسجع:-

ليس صحيحاً ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن عبد القاهر قد أهمل في الأسلوب جوانب تتجاوز التركيب النحو فقد توقف أمام ظاهرة السجع وهي ظاهرة صوتية توقفاً طويلاً في كتابه أسرار البلاغة لينفي عنها ما شاع في الفكر النقدي السابق عليه من أنها مجرد حليه خارجية تضاف إلى الكلام ولا تؤثر في دلالته ثم يتوقف أمام الظاهرة نفسها في دلائل الإعجاز ليؤكد علاقتها بالأسلوب.

الأسلوب ودور المتكلم:-

إنّ دور اللغة في الأسلوب مقصور على تحديد معاني الألفاظ المفردة، أو على وضع العلامات وعلى تحديد القوانين النحوية العامة التي تجعل الكلام ممكناً وداخل هذه القوانين والمواصفات ثمة قدر هائل من الحرية متاح للمتكلم في اختيار الصيغ والأساليب المعبرة عن الغرض أو المعنى فالفصاحة مزية بالمتكلم دون واضع اللغة كما أن المتكلم لا يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئاً ليس هو له في اللغة حتى يجعل ذلك من صنيعه مزية يعبر عنها بالفصاحة، فان عبد القاهر الجرجاني يرى أنّ هذه القوانين لوحدها لا تؤدي إلى تفاصيل في مستويات الكلام ولا تحدث عنها مزية أو تفاوت فهي قوانين تحدد معايير الخطأ والصواب وليست هي التي تحدد الفصاحة والبلاغة بالمعنى الذي يقصده عبد القاهر ويحصره في النظم. ويرى عبد القاهر الجرجاني أن علاقة الشاعر بألفاظ اللغة ومواصفاتها أشبه بعلاقة الصانع بمادته الخام فهو لا يضع المادة بل يعيد تشكيلها، وليس هو الذي يبدأ المواضعة على الألفاظ ويحدد دلالتها ولكنه يعيد تشكيلها في علاقات جديدة لتنتج شيئاً جديداً يؤثر بدوره على دلالتها ومن ثم يمنحها فصاحتها وبلاغتها.

وكل ما يفعله الشاعر أو المتكلم في ألفاظ اللغة هو أن يقيم بينها علاقات يتوخى فيها معاني النحو وليست معاني النحو التي يتحدث عنها عبد القاهر هي تلك القوانين المعيارية التي يتحتم أن تتحقق في أي كلام لكي يكون كلاماً، ولكنها المعاني التي تحدث الفروق بين أسلوب وأسلوب وبين نظم ونظم، ومن ثم لابد أن يكون المتكلم على علم ودراية بالدلالات النحوية التي يطلق عليها عبد القاهر الجرجاني معاني النحو.

ويرى عبد القاهر أن المعنى (الغرض) يمكن أن يصاغ بأكثر من أسلوب فهو يعد التشبيه مثلاً (معنى، غرض) وهو غرض عام يصاغ بأكثر من أسلوب ويتجلى في أكثر من نظم فإذا قلنا (زيد كالأسد) فقد اديت معنى

التشبيه على سبيل الخبر، وإذا قلت كأنّ زيداً الأسد فقد غيّرت الأسلوب والنظم، فالمعنى (الغرض) ينتج عند عبد القاهر من تفاعل دلالات الألفاظ مع دلالات النحو (المعاني النحوية).

العلاقة بين الأسلوب والمجاز:-

يمكن ملاحظة العلاقة بين الأسلوب والمجاز من خلال نص الجرجاني الذي يقسم فيه الكلام على قسمين ((قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم، فالقسم الأول للكناية والاستعارة والتمثيل وكل ما كان فيه على الجملة، مجتز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر))[٢٤] ثم يعود ليقسم الكلام على ثلاثة أقسام ((وجملة الامر أن ها هنا كلاماً حسنه للفظ دون اللفظ، وآخر حسنه للنظم دون اللفظ، وثالثاً: اتاه الحسن من الجهتين... والاشكال في هذا الثالث))[٢٥]. لابد أن نشير إلى أن عبد القاهر الجرجاني سواء في كتابه اسرار البلاغة أو كتابه دلائل الاعجاز اغلب الظن أن ما يقصده بالكلام الذي يعود حسنه إلى لفظه دون نظمه هو الكلام الذي يتضمن مجازاً عامياً مبتذلاً دون الكلام الذي يتضمن مجازاً خاصاً، فذلك الأخير يعود إلى لفظه ونظمه في الوقت نفسه.

ويتضح لنا في فكر عبد القاهر الجرجاني ادراكه لمستوى آخر من المعاني يفارق مستوى المعنى الناتج عن تفاعل العلامات اللغوية مع معاني النحو فيما يطلق عليه عبد القاهر اسم النظم، وأن مفهوم النظم عنده يماثل العلاقات السياقية عند علماء اللغة المعاصرين، ومفهومه للمعنى ومعنى المعنى يماثل مفهوم العلاقات الاستبدالية، وإن كان علماء اللغة لا يفصلون بين المستويين وينظرون للمعنى الدلالي للنص على أنه محصلة لتفاعل هذين النوعين من العلاقات. وعبد القاهر يفصل بينهما احياناً ويدرك ترابطهما أحيانا أخرى.

فالمعنى في النص عند عبد القاهر الجرجاني له ظاهر وهو محصلة علاقاته السياقية، وله باطن هو محصلة علاقاته الاستبدالية، وهذا الباطن هو ما يطلق عليه الجرجاني معنى المعنى، وهكذا يتحول الدال اللفظي من أن يكون مجرد طرف في العلاقات السياقية على مستوى النظم إلى أن يثير الانتباه إلى طبيعته الذاتية إلى حقيقة كونه دالاً، ولعل هذا ما دفع الجرجاني إلى القول بأن الكلام ما تكون المزية فيه راجعة إلى اللفظ والنظم معاً، ومنه ما تكون المزية راجعة الى النظم وحده.

وتظل الأسلوبية ((مجرد علم ألسني يتحرك بمضامين علمية وفنية عن الكلام والمتكلم والمتلقين في حين أن البلاغة أصول ومعايير وتطبيقات وأنها تتحرك بتراثيتها ومن هنا فأن الخدمات الخلفية التي يقدمها اليوم التراث البلاغي العربي شيء لا يقدر بثمن))[٢٦].

فكانت نظرية النظم تحوي الكثير من الأسلوبية ولكن قائمة بالدرجة الأولى على علم النحو ومناهجه وقوانينه وعدم الخروج عنها ومن ثم على التعالق الذي يحدث بين الالفاظ والمعاني والعلاقات والتآلف بين الألفاظ

وبهذا انتقل النحو من جفافه إلى إبراز مواطن الجمال، وإبعاده عن حبال الإعراب وقيوده فهو اتخذ أسلوباً أدبياً ولغوياً من خلال ربط النظم بمعاني النحو.

الشعرية:-

وهي إحدى المصطلحات الغربية التي نجد لها جذوراً في فكر عبد القاهر الجرجاني شأنها شأن الأسلوبية.

لقد كان كتاب (أبوطيقا) أي الشعر لارسطو قد نقله بشر بن متي من السريانية إلى العربي، وهو أول كتاب خصص بكامله لنظرية الأدب، والوقوف على خصائص وأنماط الخطاب الأدبي ولم يطلق عليه العرب اسم الشعرية وإنما سموه (ابوطيقا) أو الشعرية واشتهر بالاسم الأخير ولخصه الفلاسفة المسلمون[٢٧].

والشعرية ((من الألفاظ التي حاول الشكلانيون الروس بعثها ولم يعرفها العرب القدماء بمعناها الحديث، وإنما عندهم الفاظ مثل الشاعرية وشعر شاعر أو القول الشعري))[٢٨]. والشعرية ((تسعى إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل، وهي تبحث هذه القوانين داخل الأدب ذاته))[٢٩]، وهي ((علم الأسلوب الشعري وهدفها البحث عن الأساس الموضوعي الذي يستند إليه تصنيف نص في هذه الخانة أو تلك))[٣٠]. وتعد الشعرية ((خصيصة علائقية، أي تجسد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية سمتها الأساسية أن كلا منها يمكن أن يقع في سياق آخر من دون أن يكون شعرياً، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها يتحول إلى فاعلية خلق للشعرية ومؤشر على وجودها))[٣١]. وهي وظيفة من وظائف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية. وقد قرب الناقد الفرنسي جان كوهين الشعرية من دائرة الخصوص الأسلوبية وجعل مفهومها مرادفاً لمفهوم الأسلوبية، فالشعرية لديه هي علم الأسلوب الشعري أو متوسط الانزياحات التي تحدد ماهية التفرد الأدبي ومبادئه.

الشعرية والنظم:-

تتضح الشعرية في دراسات عبد القاهر الجرجاني الذي انطلق في فهم الأدب من النظم وهو ((تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض))[٣٢]، فهو نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ،وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيفما جاء واتفق، وكذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء ،فليس من نظم في الكلم ولا ترتيب حتى ((يعلق بعضها ببعض ،ويبنى بعضها على بعض ،وتجعل هذه سبب من تلك))[٣٣] أي ((أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ...))[٣٤].

والنظم عمل في معاني الكلم ليس في ألفاظها، فيجب أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثانيها بأولها، وهذا ما يجعل الكلام يأتي على وجوه شتى وانحاء مختلفة وهذا سرّ تفاوت الأدباء فيما يصوغون من كلام، وهذا منطلق الشعرية في الأدب، ولولا هذا التفاوت وتلك الدقة ما تميز الأدباء وابدع بعضهم ووقع بعضهم في أسر التقليد.

وكل ذلك يعود إلى النظم وإلى ما بين الكلم من علاقات وهو ما قرره العالم السويسري فردنا سوسير في كتابه (دروس في الألسنية العامة) بعد الجرجاني بقرون. فيمكن أن نعد نظم الجرجاني هو الأساس في الكشف عن شعرية الكتابة والنص عن طريق اثبات المعنى والنظر إلى النص بالقلب والاستعانة بالفكر.

فالنظم أساس الشعرية إذ يعتمد على التعليق بين الألفاظ مع الاعتماد على النحو وقوانينه، فهو يربط بين النظم ومعاني النحو وأحكامه وفروقه. فهو يرى أن المزية والفضل في شعرية الكلام تنسب إليه وهو مجموع ومتآلف ومنسجم في ألفاظه وصوره ومعانيه.

الشعرية والألفاظ المفردة المجردة:-

وهنا سؤال يطرح وهو هل تأتي الشعرية من اللفظة المجردة؟

والذي يبدو أن اللفظة بمفردها لا تكتسب شعرية، ولا يمكن أن تكون لها شعرية. فالألفاظ لا تراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني، والجرجاني لا يؤمن بقيمة اللفظة المفردة ولا بما يسمى اللغة الشعرية، وإنما يرى أن كل لفظة تصلح للكلام إذا وضعت موضع يليق بها ،وهي تكتسب الشعرية من خلال نظمها أي أن ((ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً، وأمراً، ونهياً، واستخباراً، وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة...))[٣٥] وعليه فالشعرية ليست في اللفظة المفردة وإنما في نظمها وتآلفها.

شعرية النظم الجرجانية والشعرية عند المعاصرين:-

لا يبتعد المعاصرون في فهمهم للشعرية عن الشعرية في نظم الجرجاني وإن اختلفت وسائل وصولهم إليها ،فهي لا تحدد على ((أساس الظاهرة المفردة كالوزن والقافية أو الإيقاع الداخلي أو الصورة أو الرؤيا أو الانفصال أو الموقف الفكري أو العقائدي إذ أياً من هذه العناصر في وجوده النظري المجرد عاجز عن منح اللغة طبيعة دون أخرى، ولا يؤدي مثل هذا الدور إلا حين يندرج ضمن شبكة من العلاقات المتشكلة في بنية كلية، والبنية الكلية هي وحدها القادرة على امتلاك طبيعة متميزة بإزاء بنية أخرى مغايرة لها. وانطلاقاً من هذا المبدأ الجوهري لا يمكن أن توصف الشعرية إلا حين يمكن أن تتكون أو تتبلور أي في بنية كلية فالشعرية إذن خصيصة علائقية))[٣٦]. بمعنى إن المعاصرين يرون أن من شروط الشعرية أن تكون هناك بنية كلية تحوي

علاقات بين الكلمات وصلات مع بعضها ومن ثم تكون للألفاظ ضمن تلك البنية سمة الشعرية ،فهم يرون أن الشعرية خصيصة علائقية وهذا هو ما ذهب إليه الجرجاني في نظريته النظم عندما قال إن تلك اللفظة تكون حسناً حيناً وتفقد ذلك الحسن حيناً آخر أي استعمال الكلمة بمعناها المعجمي لا ينتج الشعرية وإنما ((ينتجها الخروج بالكلمات عن طبيعتها الراسخة إلى طبيعة جديدة))[٣٦]، وهذا ما ذهب إليه فاليري حين أكد أن لغة الشعر انحراف ،ولا ينشأ هذا الانحراف من نفسه وإنما بنظم الكلام الذي يقود إليه المعنى أو الصورة التي رسمها الشاعر.

وذلك الانحراف عند المعاصرين هو أساس الشعرية وقد أشار إليه الجرجاني في حديثه عن دلالة الاستعارة والمجاز والتشبيه في دلالاتها على معانٍ أخر غير معانيها الاصلية وبهذا خرجت وانحرفت عن مسارها لتدل على معانٍ أخر قصدها المبدع و ((تبقى اللغة الشعرية انحراف عن قوانين الكلام وهي ليست هدماً للغة بل هي إعادة بناء اللغة على مستوى أعلى وقانونها يقوم على التجربة الباطنية بخلاف قانون اللغة العامة التي تقوم على التجربة الخارجية))[٣٨].

وأشار الجرجاني إلى ما يسميه المعاصرون بالانحراف من خلال كلامه في النظم وفي استدلاله على تحول اللفظة من تعبير إلى أخر فتكون حسنة حيناً وتفقد ذلك الحسن حيناً أخر، فاستعمال الكلمة بمعناها المعجمي لا ينتج الشعرية، وإنما لا بد أن تعبر عن معنى أخر حين تنظمها ضمن تركيب معين فتعطيك معنى ولو وضعتها في تركيب أخر اعطتك معنى مغايراً لمعناها في التركيب الأول وهذا هو الانحراف الذي أشار إليه فاليري فيما بعد.

وتتضح الشعرية في دراسة ألوان من صيغ بناء الكلام كالتقديم والتأخير، والذي هو انزياح سياقي، وهو في اللغة العربية لون من ألوان حريتها وخاصية من خصائصها وهو من سنن العرب في كلامها لما له من أهمية في دقة التعبير وجمال التصوير، والشعرية تتحقق في وضع العبارة وصياغتها وإذا ((تغير النظم فلا بد من أن يتغير المعنى))[٣٩]، ومنه تقديم الفعل وتأخيره فإذا قلت (أ فعلت كذا؟) فالسبب في الابتداء بالفعل لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه، أما إذا بدأنا بالاسم فالشك واقع فيه والاهتمام موجه إليه.

والتقديم والتأخير عند المعاصرين إنزياح عن القاعدة الخاصة بترتيب الكلم، وبه يكتسب الاديب قدرة على التعبير الدقيق المعبر، وعلى التصوير المؤثر، على أن لا يكون بحث يفسد تظم الكلام.

ويمكن أن يعد المجاز من أهم سمات الشعرية، لأنه يقوم على التخييل. ويمكن عد التشبيه واحد من أسباب الشعرية أيضاً إذا حدث فيه تفاوت بين المشبه والمشبه به باجتماع المتنافرات والمؤتلفات فيه على أن يكون

ذلك الجمع في ظاهر الامر شبهاً معقولاً، مع الاخذ بنظر الاعتبار أن الائتلاف بين المتشابهات لا يعني عقد مشابهة بينهما من دون أن يكون لها صلة في العقل.

ويعد التمثيل أكثر فاعلية في خلق الشعرية لأنه يحتاج إلى تأمل وتأويل. أما الاستعارة فيعدها المعاصرون انزياح استبدالي وهي اسما من التشبيه في التصوير وخلق الشعرية لأنها نخييل وبهذا فهي تكتسب القدرة على التلوين والتصوير.

ويأتي حسن الاستعارة من خفاء التشبيه فيها، وشعريتها تكمن في اجمع بين متقاربين متباعدين. والمجاز بأنواعه ولا سيما الاستعارة هو أساس التصوير الذي يعتمد على النظم والتخييل، وكالنت الشعرية تعتمد على الاستعارة ((لأنها تؤدي إلى الفجوة (مسافة التوتر) وهي واسعة المدى رحيبة الفضاء ولا حدود لها وهذا يعطي للأديب حرية للانطلاق في رسم الصورة، وتأتي أهميتها من أنها انحراف في بنية اللغة أو انزياح وخرق لقانون اللغة يؤدي إلى خلق الصورة البلاغية إلا إن ذلك الانزياح محكوماً بقانون يجعله مختلفاً عن غير المعقول))[٤٠].

وعليه فالشعرية لا تتحقق في التفسير الحرفي بل في التفسير المجازي الذي يبعث معنى آخر في للنص غير المعنى الذي يمتلكه سلفاً، أي البحث عن معنى المعنى على حد ما يرى الجرجاني، أي أن يكون هناك شيء من الغموض ولا نقصد بالغموض التعقيد بل هو القدر الذي يحتاجه الشاعر ليعبر عما يريد ويعرض عن صوره بثوب بديع، والغموض لا يأتي من غرابة الألفاظ وفساد النظم، وإنما من الغموض على المعاني وإعطاء العبارة ظلالاً توحي بأكثر من معنى بحيث تذهب النفس كل مهب في استخلاصها وهذا من ملامح الشعرية الرائع في القديم ومن سمات الشعر المعاصر، وهذا هو الغموض الذي أشار إليه الجرجاني، فليس هو غرابة ولا تعقيد بقدر ما هو غوص وراء المعاني إذ إن ((الشيء إذا علم أنه لم ينل في أصله إلا بعد التعب، ولم يدرك إلا باحتمال النصب كان للعالم بذلك من امره من الدعاء إلى تعظيمه واخذ الناس بتفخيمه))[٤١].

وللجناس دور في إبراز الشعرية، فهو يعتمد على تعيق الفرق عن طريق تعميق التشابه على محورين مختلفين للفرق والتشابه، أي الفرق الدلالي والتشابه الصوتي، وتظهر فيه مسافة التوتر (الفجوة) أكثر حدة وبروزاً وهو أكثر خلخلة لنظام التوقعات لدى المتلقي.

وتأتي شعرية الجناس من أنه يعتمد على جانبين، الأول الفروق الدلالية بين الألفاظ المتجانسة والتشابه الصوتي بينهما، مع خلق عنصر المفاجأة الذي يفاجئ المتلقي بلفظة غير متوقعة فهو كان يتوقع لفظة ويفاجأ بلفظة أخرى غير التي يتوقعها.

فيتضح أن الشعرية قد يراد بها الفن الذي يضع الأصول ويرسم الحدود ويحدد القواعد، لأن إهمال القاعدة قد يؤدي إلى الغموض والفساد في المعنى، والعرب لم يهملوا مواطن الشعرية وإن اختلفت وجهات النظر، وكان الجرجاني أكثرهم إدراكاً لها. وتعد البلاغة أهم وسائل الشعرية، كون الشعرية قانون نظري، والبلاغة وسيلة تطبيق ذلك القانون.

الخاتمة:-

يتضح أن الشعرية والأسلوبية قد تطرق لهما الجرجاني في دراسته للبلاغة ولكن ليس بهذين المصطلحين، وإنما بمصطلحات بلاغية أخرى، فهو اكتشف وجودهما في فنون البلاغة وهذا يعني أن العرب سبقوا الغرب في الاكتشاف إلا أن الغرب جاءوا بمصطلحات وتسميات حديثة وفحواها يدور حول الفنون البلاغية المعروفة لدينا والتي توصل إليها العرب قبلهم فالعلاقة بينها وبين البلاغة علاقة العنوان بالمضمون. فالأسلوبية والشعرية من مصطلحات الدراسات الغربية وعند البحث في كتبنا العربية وجدنا فحواها فيها.

واتضح لنا مما تقدم أن البلاغة علم لساني قديم، والأسلوبية علم لساني حديث، وأن اهتمام البلاغة ينصب على فصاحة الكلمة المفردة أولاً ووضعها ضمن التركيب ثانياً، وينصب اهتمام الأسلوبية على المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي وهذا ليس ببعيد عن البلاغة، فيمكن أن تعد الأسلوبية امتداداً للبلاغة إذ إن ما أشار إليه الجرجاني في نظريته النظم هو ما اهتمت به الأسلوبية ولكن بمسميات أخرى.

وتتفق الأسلوبية مع ما جاء به الجرجاني في نظريته من أن الألفاظ المفردة لا تكتسب ميزتها من حيث هي ألفاظ مفردة ما لم توضع ضمن تركيب، فيكون لها في كل تركيب توضع فيه معنى مغاير لغيره من التركيب الآخر، مما يدل دلالة واضحة على أن الكلمة تكتسب ميزاتها وحسنها ضمن تركيبها وضمن علاقتها مع ما قبلها وما بعدها وع الآخذ بنظر الاعتبار فصاحتها وخلوها من العيوب.

وبترابط الألفاظ مع بعضها يكتسب الكلام شعريته وعلى هذا الأساس تتفاوت أساليب الشعراء، فنرى أن النص لا يكتسب شعريته من وزنه، أو إيقاعه، أو صورته فقط، بل لابد من النظر إلى بنيته الداخلية والخارجية وتعالقهما معاً حتى يكونان معاً بنية كلية تدخل ضمنها العلاقات بين الكلمات، فتكتسب الكلمات ضمن تلك البنية سمة الشعرية، فالشعرية خصيصة علائقية وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني في نظريته بتركيزه على تعالق الألفاظ وتآلفها بالاعتماد على قوانين النحو.

الهوامش:-

١.لسان العرب لابن منظور مادة سلب.

٢.الوساطة بين المتنبي وخصومه ،١٧.

٣.م . ن، ٢٤.
٤.دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، ٧٠.
٥.الأسلوب، أحمد الشايب، ٣٨.
٦.أسس النقد الأدبي عند العرب، ٤٢٠.
٧.الأسلوب، دكتور محمد كامل جمعة،٦٣.
٨.في الأسلوب الأدبي، علي بو ملحم، ٨٥.
٩.م . ن، ٨.
١٠ .الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، ٦٤.
١١ .دفاع عن البلاغة ٨١ .
١٢ .معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ,٢٢
١٣ .الأسلوبية والأسلوب، ٣٨.
١٤ .دلائل الاعجاز، ,٣٠٣
١٥ .الأسلوبية والأسلوب، ,٣٤
١٦ .النقد والحداثة، عبد السلام المسدي، ,٥٨
١٧ .في المصطلح النقدي، ,١٢٩
١٨ .م . ن، ,١٢٩
١٩ .ينظر المفكرة النقدية، دكتورة بشرى موسى صالح، ٣٦ -,٤٠
٢٠ .دلائل الاعجاز، ,٣٠٣
٢١ .م . ن، ,٤١٥
٢٢ .م . ن، ٨١ -,٨٢
٢٣ .م . ن، ,٤٦٨
٢٤ .م . ن،,٢١
٢٥ .م . ن، ٨١-٨٢.
٢٦ .اللغة والبلاغة، ٢٩-,٣١
٢٧ .ينظر في المصطلح النقدي، ١٥١، والمفكرة النقدية، ,٤٩
٢٨ .في المصطلح النقدي، ١٥١.
٢٩ .الشعرية، ٢٣.
٣٠ .بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ,١٤
٣١ .الشعرية، ,١٥
٣٢ .دلائل الاعجاز، ,٤
٣٣ .م . ن، ٥٥.
٣٤ .م . ن، ,٨١
٣٥ .م . ن، ,٤٤
٣٦ .نقلا عن المصطلح النقدي، دكتور أحمد مطلوب، ,١٦٦

٣٧. الشعرية، ٣٨,

٣٨. في المصطلح النقدي، ١٦٧,

٣٩. دلائل الاعجاز، ٢٦٥,

٤٠. نقلا عن المصطلح النقدي، ١٨٢-١٨٣,

٤١. أسرار البلاغة، ١٢٦.

المصادر:-

١. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق هـ.ريتر ، استانبول، ١٩٥٤,

٢. أُسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد مطلوب و د. أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٥٨,

٣. الأسلوب، د. أحمد الشايب، القاهرة، ط ٣,

٤. الأسلوب، محمد كامل جمعة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣.

٥. الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، تونس، ط٢، ١٩٨٢.

٦. بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة: محمد المولى ومحمد العمري، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦.

٧. دفاع عن البلاغة، د. أحمد حسن الزيات، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧,

٨. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٨٤.

٩. الشعرية، ترفيتان تودروف، ترجمة: شكري المنجوت ورجاء بن سلامة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٧,

١٠. شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي، د. عبد الواسع أحمد الحميري، بيروت، ٢٠٠٥.

١١. في الأسلوب الأدبي، علي بو ملحم، بيروت، ١٩٦٨,

١٢. في المصطلح النقدي، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي، ٢٠٠٢,

١٣. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، دكتور. أجمد مطلوب، مصر، ١٩٩٥,

١٤. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.

١٥. اللغة والبلاغة، دكتور عدنان بن ذريل، دمشق، ١٩٨٣,

١٦. معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، دكتور مجدي وهبة وكامل المهندس، ١٩٧٩,

١٧. المفكرة النقدية، دكتورة بشرى صالح موسى، بغداد، ٢٠٠٨,

١٨. النقد والحداثة، دكتور عبد السلام المسدي، بيروت،١٩٨٣,

١٩. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل، وعلي محمد البجاري، القاهرة، ط ٣.

References:-

١- Asrar Al-Balagha, Abdul Qaher Al-Jarjani, Investigated by H Ritter, Istanbul, 1954.

٢- The foundations of literary criticism among the Arabs, d. Ahmed is required and Dr. Ahmed Badawy, Cairo, 1958.

٣- method, d. Ahmed Al-Shayeb, Cairo, 3rd floor.

٤- Style, Muhammad Kamel Gomaa, Cairo, 2nd Edition, 1963.

٥- Stylistics and style, d. Abdel Salam Al-Masadi, Tunisia, 2nd Edition, 1982.

٦- The Structure of Poetic Language, Jean Cohen, translated by Muhammad al-Mawla and Muhammad al-Omari, Casablanca, Morocco, 1986.

٧- Defense of Rhetoric, d. Ahmed Hassan El-Zayat, Cairo, 2nd Edition, 1967.

٨- Evidence of Miracles, Abdel-Qaher Al-Jarjani, investigative, Mahmoud Mohamed Shaker, Cairo, 1984.
٩- Poetics, Trevitan Todorov, translated, by Shukri Al-Manjoot and Raja Ben Salama, Casablanca, Morocco, 1987.
١٠- Poetics of discourse in the critical and rhetorical heritage, d. Abd al-Was'i Ahmad al-Hamiri, 2005, Beirut.
١١- On Literary Style, Ali Bu Melhem, Beirut, 1968.
١٢- In the monetary term, d. Ahmed Matlab, The Scientific Council, 2002.
١٣- Modernity Issues according to Abdel-Qaher Al-Jarjani, Dr. Ajmd Matlab, Egypt, 1995.
١٤- Lisan Al-Arab, by Ibn Manzur, Dar Sader, Beirut.
١٥- Language and Rhetoric, Language and Rhetoric, Dr. Adnan bin Dharil, Damascus, 1983.
١٦- A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Dr. Magdy Wahba and Kamel Al-Mohandes, 1979.
١٧- The Critical Notebook, Dr. Bushra Saleh Musa, Baghdad, 2008.
١٨- Criticism and Modernity, Dr. Abd al-Salam al-Masadi, Beirut, 1983.
١٩- Mediation between Al-Mutanabbi and his opponents, Judge Abdul Aziz Al-Jarjani, investigation by Muhammad Abu Al-Fadl, and Ali Muhammad Al-Bajari, Cairo, 3rd Edition.